ذِكرى الدار

د. أحمد بن محمد رفيع

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز



ذكرى الدار



د. أحمد بن محمد رفيع

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز

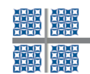
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رفيع، أحمد محمد
ذكرى الدار. / أحمد محمد رفيع - ط١.-
مكة المكرمة، ١٤٤٤هـ
٤٨ ص؛ ١٢×١٧سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٠٠--٠١-٢
١- الوعظ والارشاد　　أ- العنوان
ديوي ٢١٣　　١٤٤٤/٧٢٢٤

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٧٢٢٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٠٠-٠١-٢

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م


بسم الله الرحمن الرحيم


ذكرى الدار



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

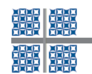
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: آية ١]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمٗا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: آية ٢٨١]

المتأمل في الوحي يدرك مركزية استحضار اليوم الآخر؛ فهو ركن من أركان الإيمان، ربَّى النبي - عليه الصلاة والسلام - أصحابه

عليه، وكرر الله - سبحانه - ذكره في القرآن بأدق التفاصيل، حتى لكأننا ننظر إليه نظر العين، وامتدح الله - سبحانه - أنبياءه بتذكر الآخرة، وتذكير الناس بها[1]؛ فقال - سبحانه -: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: الآيات: ٤٥-٤٦-٤٧]؛ فذكر الدار الآخرة يسوق النفوس ويهيجها لفعل الخيرات، ويخلع القلوب خوفاً من المعاصي والسيئات، ويهوّن المصائب، ويجتث جذور حب الدنيا من القلب، ويضبط بوصلة الإنسان في شتات

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠/ ١١٦).



الحيـاة، ويدعـوه إلى الزهـد في الدنيـا، وترك توافهها وفضولها، والشوق للآخرة، والسعي والاستعداد لها.

ورجوت بهذه الرسالة المختصرة تذكرة القلوب، في زمن كثرت فيه الغفلة والفتن والمنكرات والترف، وطغيان الماديات ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: آية ٤٥]، فمن لم يبصر الحقيقة ها هنا سيبصرها هناك ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: آية ٢٢]، ومن لم يتذكر ها هنا سيتذكر هناك ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: آية ٢٣-٢٤]،

ومن خاف الله في الدنيا سيأمن هناك، قال الله تعالى: «**وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين؛ إن هو أمنني في الدنيا؛ أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا؛ أمنته يوم أجمع عبادي**»[1]. أسأله – سبحانه – أن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يرزقني وإياك ذكرى الدار الآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب
وتبلى اليد مني في التراب
فيا ليت الذي يقرا كتابي
دعا لي بالخلاص من الحساب[2]

---

(١) صحيح الجامع (٢/ ٧٩٨).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٣٣).





أفلا تعقلون

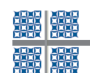
تحقيق الإيمان باليوم الآخر، واليقين به، وكثرة استحضاره، من أخص صفات أهل الإيمان ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: آية ٤]، أما أكثر الناس فقد قضى الله بأنهم غافلون عن الآخرة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: آية ٦-٧]، وذلك مع شدة قربه منهم ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: آية ١] ،

«كيف أنعَمُ وصاحب القرْن قد التقم القرْن،

واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ»[1].

ومن رحمة الله بنا حصول التذكير في كل ركعة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: آية ٤]، وفي كل أسبوع في صلاة الجمعة ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية: آية: ٢٥-٢٦]، ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: آية: ١٦-١٧]، فالعقل يقتضي إيثار الباقي الكامل على الفاني الناقص ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [القصص: آية: ٦٠]، ولو «كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى؛ لكان

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٠)، وصححه الألباني.



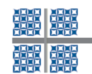
الواجب أن يؤثر خزفاً يبقى، على ذهب يفنى، فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى؟!»[1].

فكل ما تراه في هذه الدنيا سراب ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: آية ٦٠]، وهو قصير جداً ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: آية ٦٥]، وهو لعبٌ ولهوٌ ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾[الحديد: آية ٢٠]، وهو متاعٌ قليل ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٤).

ﭐلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: آية ٣٨].

واعلم بأن الفوز الحقيقي هناك ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران: آية ١٨٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١﴾[الصافات: آية ٦٠-٦١]، وأن الحياة الحقيقية هناك ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: آية ٦٤]، ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: آية ٢٤]، وأن الخسارة الحقيقية ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: آية ١٥]، وقد توعد الله من لم يرجُ لقاءه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ



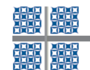
﴿هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس: آية ٧-٨]، وتوعد من نسي اليوم الآخر ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: آية ٢٦].

وأول شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة أن يقوم به شاهد من الدنيا وحقارتها، وسرعة زوالها وانقضائها؛ وحينئذ يقوم بقلبه شاهد من الآخرة ودوامها وبقائها، ثم بعد ذلك يقوم به شاهد من الجنة وما فيها من النعيم، فإذا انضم إلى هذا الشاهد شاهد يوم المزيد، والنظر إلى وجه الرب - جل جلاله-؛ فهناك يسير القلب إلى ربه أسرع من سير الرياح في

مهابَّها؛ فلا يلتفت في طريقه يميناً ولا شمالًا، وفوق ذلك شاهد آخر، تضمحل فيه هذه الشواهد المتقدمة من غير أن تعدم، وهو شاهد جلال الرب تعالى وكماله"[1].

انظر إلى مشاهد الآخرة بعين بصيرتك، وتأمل تصوير الوحي لأدق تفاصيلها، فهذا حال القلوب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ﴾ [غافر: آية ١٨]، وهكذا ستزول الدنيا ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ

(١) انظر: مدارج السالكين (٤/ ١٤٧).



﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: الأيات من ١- ١١]. وهذا الموت وسكراته ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: الآيات من ٨٣- ٨٥]، «اعلم أن الموت هائل، وخطره عظيم، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا؛ فلا ينجع ذكر الموت في قلبه»[١]. قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

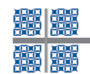
(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥١).

«عجبًا لمن نزل به الموت وعقله معه، كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموت، ذكَّرّه ابنه بقوله، وقال: صفه. قال: يا بني، الموت أجَلُّ من أن يوصف، ولكني سأصف لك؛ أجدني كأن جبال رضوى على عنقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأن نفَسي يخرج من إبرة»[1]. «فملازمة هذه الأفكار وأمثالها، مع دخول المقابر، ومشاهدة المرضى؛ هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب؛ حتى يغلب عليه، بحيث يصير نصب عينيه»[2]. وذكر الموت منغص وحده، فكيف بما بعده من أهوال؟!

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٢).



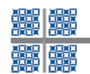
وهذا البعث والحشر ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: آية ٦٨]، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: آية ١٠٣]، «**يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون**»[١]، وهكذا سيفر المرء من أهله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ [هود: الآيات من ٣٤-٣٦].

---

(١) أخرجه البخاري، واللفظ له (٦/ ٨٤)، ومسلم (١/ ١٨٤).

وهذا الحساب وتطاير الصحف ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: آية ٤٧]، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة: آية ١٩-٢٠]، ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦﴾ [الحاقة: آية ٢٥-٢٦].

وهذا الصراط «**ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف**



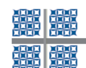
وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً»[1].

وهذه النار والعياذ بالله ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [الملك: آية ٧-٨]، ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم:

(١) أخرجه البخاري، واللفظ له (٩/ ١٣٠)، ومسلم (١/ ١٦٧).

آية ٤٩-٥٠]، ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان: الآيات من ٤٣-٤٧]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: آية ٥٠]، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: آية ٣٠].

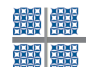
أما أصحاب الجنة، فلا يحزنهم الفزع الأكبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا



﴿ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: آية من ١٠١-١٠٣]، ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ

﴿وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: الآيات من ١١-٢١]، «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله - تبارك وتعالى -: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب. فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عز وجل -»[1]، «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب، وأي

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٦٣).



شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[1].

فماذا أعددنا لذلك اليوم؟!



(١) أخرجه البخاري، واللفظ له (٨/ ١١٤)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦).



ذكرى الدار





حالهم وحالُنا

كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يربي أصحابه على استحضار الآخرة، فيقول لهم: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة**»[(١)]. وكان يزهدهم في الدنيا «**والله، ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع؟**»[(٢)]. وكان يخوفهم النار «**ناركم جزء من سبعين**

---

(١) صحيح الجامع (٢/ ٨٤١).

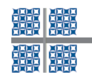
(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٣).

جزءاً من نار جهنم. قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرها»[1]. ويصبّرهم بذكر الجنة «**أبشروا آل عمار، وآل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة»**[2]. ويحثهم بذكر الجنة عند الشدائد «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**. فقال: عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: **نعم**، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: **ما يحملك على قولك بخ بخ؟**، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها،

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٢١).

(٢) المستدرك على الصحيحين، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٣/ ٤٣٨).



قال: **فإنك من أهلها**، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل»[1].

وقد كانت هذه حال عباد الله الصالحين في الدنيا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: آية ٢٦]، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: آية ٣٧]، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: آية ٢٠]، وهم بذلك ينتفعون بالعِبَر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ

---

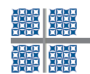
(١) صحيح مسلم (٣/ ١٥١٠).

﴿عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِۚ﴾ [هود: آية ١٠٣]. وإليك طرفاً من أحوالهم:

- يسمع أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: آية ٩٢]؛ فينفق أحب أمواله، وهي حديقة بَيْرُحاء صدقة لله[(١)].

- وهذا ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه لا يرجو إلا مرافقة النبي - عليه الصلاة والسلام- في الجنة، قال: «كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: «سل». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

(١) انظر: صحيح البخاري (٢/ ١١٩).



قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[1].

- وهذا أنس بن النَّضْرِ ﵁ ثبت بعدما انكشف المسلمون يوم أحد، وتقدم شوقاً للجنة، «فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم»[2].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٥٣).
(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٩).

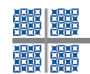
- وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه اقتحم عن فرس له شقراء يوم مؤتة، فعقرها، ثم تقدم فقاتل، وهو يقول:

يا حبــذا الجــنة واقـترابهــا
طيــبةٌ وبــاردٌ شـــرابهــا[1]

- وهذا عبدالله بن رواحة رضي الله عنه كان يحث نفسه على التقدم في القتال يوم مؤتة، ويقول:

أقســمتُ يا نفــسُ لتَنزِلنَّــه
طائعــةً أو ســوف تُكرَهِنَّــه
إن أجْلَبَ الناس وشدُّوا الرَّنَّة
ما لــي أراك تكرهـين الجنــة[2]

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢١).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٢٢).



- و«كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذكرون الموت والقيامة، ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة»[1].

- و«كان علي بن الفضيل عند سفيان بن عيينة، فحدث بحديث فيه ذكر النار، فشهق علي شهقة، ووقع، فالتفت سفيان، فقال: لو علمت أنك ها هنا، ما حدثت به، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله»[2].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص٣٨٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٥).

- وقال ابن مهدي عن سفيان الثوري: «كنت أرمق سفيان في الليلة بعد الليلة، ينهض مرعوباً ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات. وقال أبو نعيم: كان سفيان إذا ذكر الموت، لم ينتفع به أياماً»[١]. و«كان سفيان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم»[٢].

- وكان شداد بن أوس الأنصاري «إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٦).
(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٤٢).
(٣) حلية الأولياء (١/ ٢٦٤).



- وقال المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار: «قلت لنفسي: يموت مالك وأنا معه في الدار، لا أعلم ما عمله؟ قال فصليت معه العشاء الآخرة، ثم مضيت، ثم جئت فلبست قَطِيفة في أطول ما يكون من الليل، وجاء مالك فدخل، فقرب رغيفه فأكل، ثم قام إلى الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار. قال: فوالله، ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، قال: ثم انتبهت، فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ويقول: يا رب،

إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار. قال: فوالله، ما زال كذلك حتى طلع الفجر»[1].

- وقال أبو مسلم الخَوْلاني: «لو رأيت الجنة عياناً، أو النار عياناً، ما كان عندي مستزاد»[2].

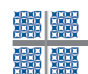
- وكان هَرِم بن حَيَّان «يخرج في بعض الليل وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها؟! وعجبت من النار كيف نام هاربها؟!»[3].

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٤٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٩).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٤٨).

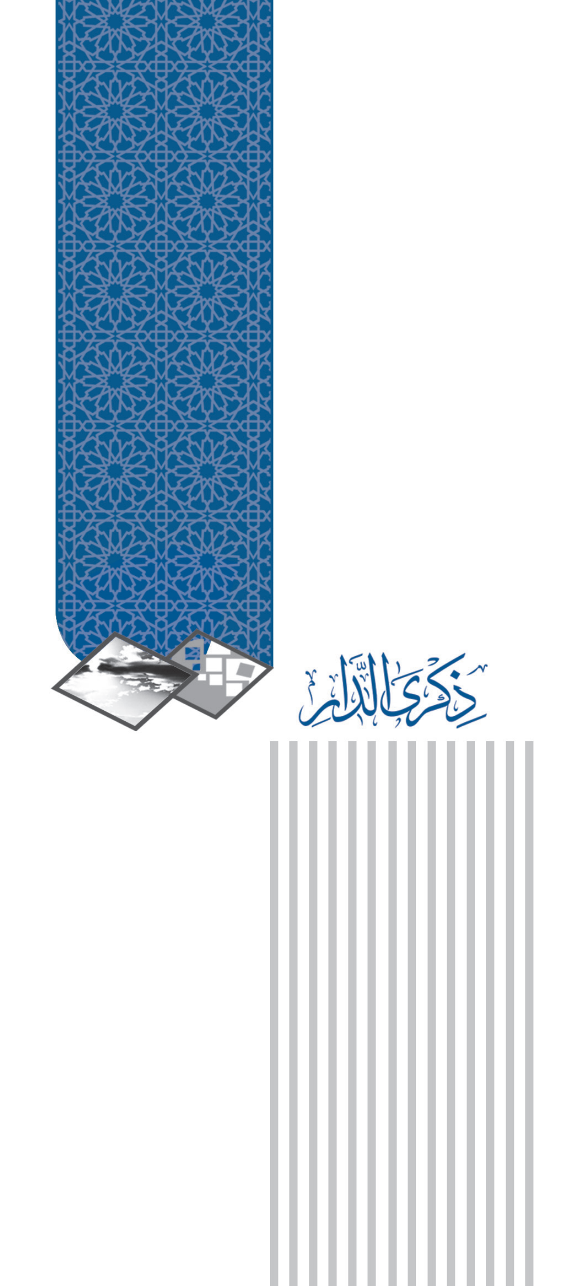


وكان هشام الدَّسْتُوَائِي «إذا فقد السراج من بيته؛ يتململ على فراشه، فكانت امرأته تأتيه بالسراج. فقالت له في ذلك، فقال: إني إذا فقدت السراج، ذكرت ظلمة القبر»[1].

هذه أحوالهم، فما هي أحوالنا؟!



(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٥٢).


ذكرى الدار



المِفْتَـــــاح

«مفتاح الاستعداد للآخرة: قصر الأمل، ومفتاح كل خير: الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر: حب الدنيا، وطول الأمل. وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه»[1]، فالدنيا بطبيعتها تلهي الإنسان ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: آية ١-٢]، قال القرطبي: «لم يأت

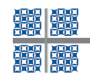
(١) حادي الأرواح (١/ ١٣٩).

في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة. وزيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي؛ لأنها تذكر الموت والآخرة. وذلك يحمل على قصر الأمل، والزهد في الدنيا، وترك الرغبة فيها»[1]. وقال ابن القيم: «فلله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدها ترغيباً في الآخرة وتزهيداً في الدنيا»[2].

و«**من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٠).
(٢) عدة الصابرين (ص١٩٤).



انفطرت، وإذا السماء انشقت»[1]. وتأمل أسماء ذلك اليوم: الحسرة - القارعة - الزلزلة - الطامة الكبرى - الصاخة - الفزع الأكبر، وتذكر بقيامك إلى الصلاة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: آية ٦]، وتذكر بالحج مشهد الآخرة «**يجمع الله الناس، الأولين والآخرين، في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون**»[2]، وتذكر بمشهد إحياء النبات إحياء الموتى

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٣)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري، واللفظ له (٦/ ٨٤)، ومسلم (١/ ١٨٤).

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: آية ٥-٦]، وتذكر بنار الدنيا نار الآخرة ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: آية ٧٣]، وتذكر بسفرك في الدنيا سفرك للآخرة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: آية ١٣-١٤].

واعلم بأنه كلما امتلأ القلب بذكر الآخرة؛ أسرع إلى الله ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[لقمان:



آية ٤]، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: آية ١٦]، **وخاف معصيته** ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: آية ١٦]، قال ابن القيم: «فمن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزائها، وذكر المعصية والتوعد عليها، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح؛ هاج من قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو»[1]، واجتمع شعثه وهمه «**من كانت الآخرة همه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته**

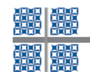
---

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٦١٦).

الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[1]، وانضبط صاحبه بأحكام الشرع ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: آية ٥٩]، ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النور: آية ٢]، وكان باعثًا له على نصرة الحق ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: آية ٤٤]، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ

---

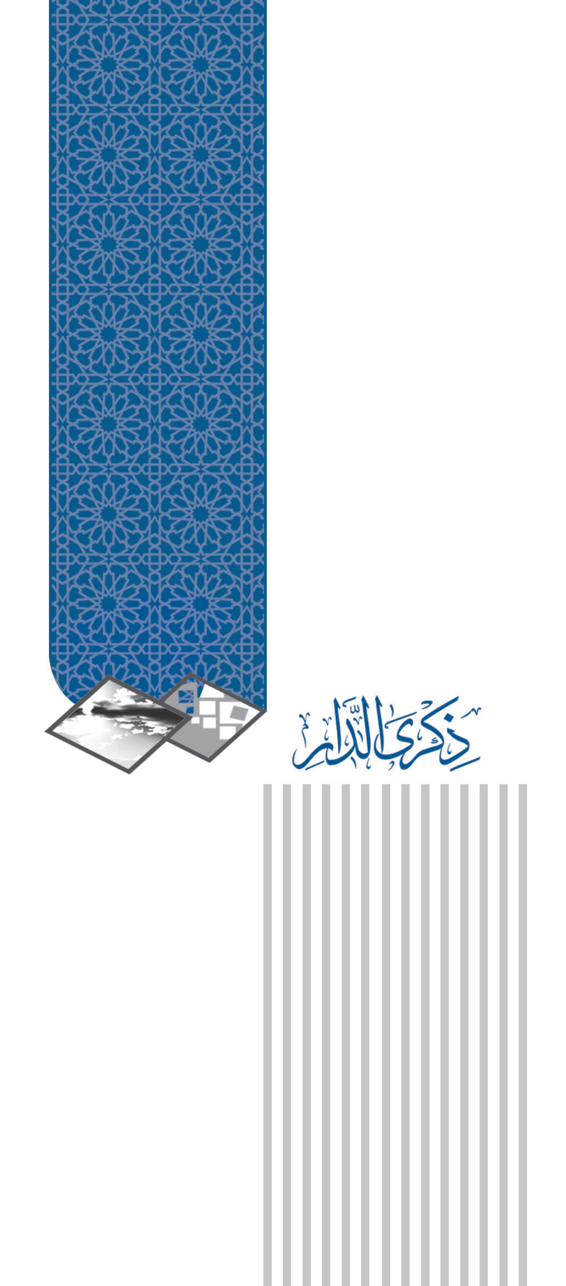
(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٥٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٣٣).



﴿كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: آية ٢٤٩]، وقال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: آية ٥٠]، **وكان أطرَدَ لهمومه** وأحزانه، قال ابن حزم: «بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة إلى طرد الهم الذي هو المطلوب للنفس، الذي اتفق جميع أنواع الإنسان، الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح، على السعي له، فلم أجدها إلا التوجه إلى الله - عزَّ و جلَّ - بالعمل للآخرة»[1].



(١) الأخلاق والسير (ص١٥).


ذكرى الدار



الخاتمــة

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر: آية ٢١].

قال ابن القيم: «فهذا حال الجبال، وهي الحجارة الصلبة، وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته، وقد أخبر عنها فاطرها وباريها أنه لو أنزل عليها كلامه؛ لخشعت ولتصدعت من خشيته. فيا عجبا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال! تسمع آيات الله تتلى عليها، ويذكر الرب تبارك وتعالى -،

فلا تلين، ولا تخشع، ولا تنيب، فليس بمستنكر لله - عز وجل - ولا يخالف حكمته، أن يخلق لها نارا تذيبها؛ إذ لم تلن لكلامه وذكره وزواجره ومواعظه. فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبُه، ولم ينب إليه، ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته؛ فليتمتع قليلاً، فإن أمامه الملين الأعظم»[1].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: آية ٣٧].



(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٦٢٨).




ذكرى الدار


ذكرى الدار


الفهـــرس

